الكونت رشيد الدحداح واسرتهُ

للشاب الاديب والكاتب المحقق الشيخ سليم افندي الدحداح

لمَّا كان من اهمّ فروض الوطنيَّة احياء ذكر اعاظم رجال الوطن وكبار اصحاب الفضل والعلم وجب علينا ان ننشر سيرة هذا الرجل العظيم الذي تُعدّ وفاتهُ خسارةً على الوطن والعلم والفضيلة. ولكن قبل الاقدام على ذلك نرجو من القراء الكرام ان يسمحوا لنا بايراد لمعة عن حال لبنان وأسرة مشايخ بني الدحداح توطئةً لما نسردهُ ممَّا وصلت اليهِ معرفتنا القاصرة عن حياة واعمال الفقيد الذي يحقّ للشرق ان يفتخر بمثلهِ

لبنان قبل سنة ١٨٦٠ واسرة مشايخ بني الدحداح

ان منشأ هذه الاسرة هو قرية العاقورة الواقعة في اعالي جرود لبنان في مقاطعة جبة المنيطرة من المعاملة الشماليَّة المعروفة باسم معاملة طرابلس حسب تسمية الاقسام اللبنانيَّة القديمة (١). امَّا الآن فهذه القرية هي اهمّ قرى ناحية جرود جبيل التي احدثها في قضاء كسروان دولة متصرف لبنان الحالي في اوائل عهده بالمتصرفيَّة

(١) لا يخفى انهُ قبل سنة ١٨٦٠ كان لبنان يُقسم الى معاملتين كبيرتين احداهما الشمالية وهي المعروفة بمعاملة طرابلس والثانية الجنوبية كانت تُعرف بمعاملة صيداء. والفاصل بين الاثنتين الوادي الذي يبتدئ في أعالي الجرود بين كسروان والفتوح وينتهي في البحر المتوسط تحت الجسر المعروف بجسر المعاملتين في شمالي جونيه. وقد كانت معاملة طرابلس تتألف من المقاطعات الآتية: الزاوية. جبَّة بشرّاي. الكورة. القويطع. بلاد البترون. بلاد جبيل. جبَّة المنيطرة. الفتوح. واما معاملة صيداء فكانت تشتمل على: كسروان. القاطع. المتن. الغرب. الشحّار. اقليم الخرّوب. المناصف. الجرود. العراقيب. الشوفين. اقليم جزّين. اقليم الريحان. زحله وقسم من البقاع الشرقي.

وقد جاء في « اخبار الاعيان " (ص١٠٩) ان جدّ هذه العائلة هو الشيخ جرجس الدحداح وانهُ « في سنة ١٣٧٥ توفي المقدَّم غزال القيسي الماروني مقدَّم العساقورة بلا عقب فورثتهُ ابنتهُ زوجة جرجس الملقَّب بالشدياق » (١). والمقدم غزال هو من بقيَّة المقدَّمين المرّدة الذين استمروا في اعالي البلاد محافظين على حريَّة التصرف تحت سيادة الولاة والحكّام. وكانت سوريَّة مع لبنان وقتئذٍ خاضعين للسلاطين مصر وبقيت كذلك حتى سنة ١٥١٥ اذ أزال السلطان سليم الاول العثماني دولة السراكسة واخضع سوريَّة ومصر وألحقها بالممالك الشاهانيَّة المحروسة

امّا عن الشيخ جرجس الدحداح المشار اليهِ واصلهِ واعمالهِ ومحلّ وفاتهِ فلا يذكر التاريخ شيئاً مطلقاً. والذي اعرفهُ انهُ لم يبحث احد عن ذلك الّا المرحوم الكونت رشيد في تآليف لهُ بقيت خطيَّة. ولا اعلم ماذا حلَّ بها بعد وفاتهِ ووقوعها بين ايدي الجاهلين الذين يجهلون لغتنا العربيَّة

وزيادةً في الايضاح نقول انَّ في سنة ١٣٧٥ اي في أيام الشيخ جرجس كان البطريرك على الموارنة يوحنا الجاجي. وكان الحكم في الفتوح والسيطرة وبلاد جبيل وبلاد البترون لمشايخ بيت حمادة الشيعيين ذوي السيطرة والقوة. وكان على جبة بشرّاي الحماديين ايضاً وفي بعض اقسامها مقدَّمون موارنة. والسهل (اي الزاوية والكورة) كان تابعاً لحكّام طرابلس. امّا معاملة صيدا فانّها كانت خاضعة لامراء آل عسّاف وآل سيفا الاكراد وكان غالب السكان فيها من المسلمين وقد اندثر العنصر المسيحي في كسروان وغزير منذ سنة ١٣٠٧. وكان الامراء المعنيون في الشوف والعراقيب والجرد. والتنوخيُّون في الغرب الاعلى والشحار والمناصف. وآل ارسلان في الغرب الاسفل وفي الساحل

وقد توفي الشيخ جرجس الدحداح تاركاً ولداً تزوّج ثم صار كاهناً باسم ميخائيل.

وقد كانت مدينة بيروت ذاتا تابعة لهذه العائلة الجنوية من قبل سنة ١٧٨٠. وتاريخ بيروت الذي نُشر في هذه المجلة لاحد الامراء التنوخيين يشهد بذلك. فان الامراء حكام بيروت وقتئذٍ كانوا حاملين مراكز حكمهم في قرى الغرب

١) وقد وردت هذه العبارة في كتاب « تاريخ الطائفة المارونيَّة » للدويهي الذي هي بطبعهِ وتعليق حواشيهِ حضرة الاستاذ الفاضل رشيد افندي الشرتوني ولم يذكر فيها لفظة « الدحداح »

ومن الغريب ان سلسلة العائلة تذكر الخوري ميخائيل هذا ومن بعدهِ ستة كهنة(١ تناسلوا بالتتابع وكلّ منهم وحيد لابويه . فجرجس الدحداح الملقّب بالشدياق صهر غزال القيسي ورث عمهُ سنة ١٣٧٥ وخلفهُ ابنهُ الخوري ميخائيل فالخوري يوسف فالخوري ابرهيم فالخوري حنّا فالخوري ميخايل فالخوري يوسف فالخوري جرجس فالشيخ يوسف سنة ١٦٧٥ وهذا لم يصر كاهناً . والعائلة حفظت سلسلة اولادهِ . وقد ورث عنهُ مالك ابا الغيث القيسي سنة ١٧٠٠ وتوفي سنة ١٧٦٢ وقد رُزق من ابنة عمّهِ مالك اربعة اولاد وهم ابرهيم وسليمان وموسى ومنصور . ثم رُزق من زوجتهِ الثانية ابنةً وهبة

فمن وفاة المقدّم غزال سنة ١٣٧٥ وهو حمو اول شيخٍ من عائلة الدحداح الى وفاة المقدم مالك ابي الغيث القيسي سنة ١٧٠٠ توجد فترة ثلاثمائة وخمس وعشرين سنة . فلا يُصدَّق ان هذه العائلة تسلسلت في هذه المدة الطويلة كاهناً عن كاهن كلّ منهم وحيد اهلهِ . ولا ريب انهُ كان لكل منهم او للبعض اخوة قد أُهمل ذكرهم في سلسلة العائلة اما لانقطاع ذرّية الواحد منهم عاجلًا واما لكثرة الفروع المتشعّبة من تلك الاصول او لأن اولادهم ثبتوا في الناقورة بعد خروج الشيخ يوسف بابيهِ واولادهِ منها (٢ او لانهم هم ترحوا الى جهات مختلفة فلم يُلتفَت الى سياق نسبهم حتى نُسي مع الاعوام اسم اجدادهم انفسهم ولم تُحفظ الّا سلسلة الكهنة التي سبق ذكرها . ولعلّها ناقصة كما قلنا

ومن وقف على اخبار لبنان في تلك الايام يرى ان الناقورة لم تكن حكومة واحدة

(١ اعلم انّ كتاب اخبار الاعيان لم يذكر بعد الخوري ميخائيل سوى خمسة كهنة وقد عددناهم ستة وفقًا لتقليد العائلة . ولعلّهُ فُقد من هذه السلسلة حلقات أُخر والله اعلم

(٢ يشهد على ذلك كتاب صلاة وجد في كنيسة الناقورة مكتوب عليهِ بخط يد الخوري يوسف سادس هؤلاء الكهنة البادية الآتية ندوّنها بحرفها : « انا الخوري يوسف خادم الناقورة المرسوم من السيد الذكر البطريرك يوحنا مخلوف بايام اينوشنسيوس البابا في رومية . قد تقرّر كالهُ على يد احقر الناس واذلّهم يوسف باسم خوري ابن المرحوم الخوري ميخايل ابن الخوري حنّا ابن الخوري ابرهيم المكنّى بابن الدحداح من خروسة الناقورة . وكان عمر الكاتب المسكين ٤٧ سنة يوم كتب هذا الكتاب وهو وقفٌ لا رجوع فيهِ للقديسين المطهّرين مرت مريم سيدة الجبل ومار الياس ومار ميخايل وجبرايل من شي وكدي وقف صدقة عني وعن « اولادي » ووالدي . اي من طمع عليهِ وسرقهُ ام غيرهُ يكون محروماً من الله والقديسين المذكورين يكونوا خصامهُ وانا بريء من خطيتهِ . سنة ١٦٤٩ »

خاضعة لمقدَّم او شيخ واحد بل انهـا كانت قسمين: احدهما ورثهُ بنو الدحداح من جدّتهم ابنة غزال. والآخر ساد فيه غيرهم كما يشهد على ذلك ما جاء من انَّ المقدَّم خليل ابن مقلد بنى برجاً للقرية سنة ١٤٤٢ وان مالكاً اليمني شيخ العاقورة حرق المنيطرة سنة ١٥٣٤ وقُتل بعدئذٍ

ونحن في هذا الصدد يجدر بنا الالماع الى ان جميع أُسرات مشايخ الموارنة واكثر اهالي جنوبي لبنـان الموارنة هم من المعاملة الشماليَّة. فمشايخ آل دحداح نشأُوا في العاقورة من قرى المنيطرة سنة ١٣٧٥ كما سبق القول عنهم. ومشايخ آل حبيش عُرفوا سنة ١٥١٥ في يانوح احدى قرى المنيطرة ذاتها. والشدياق سركيس جدّ مشايخ آل الخازن لم يُذكر اسمهُ الا سنة ١٥٤٥ اذ قيـل انهُ جاء من جاج احدى قرى بلاد جبيل للسكنى في كسروان

ولنعد الى الشيخ يوسف الدحداح سليل الكهنة المارّ ذكرهم. فانهُ وقعت عداوة بينهُ وبين هاشم العاقوري اليمنيّ الذي كان الحماديون يعضدونهُ فتزح بابيهِ واولاده من العاقورة الى عشاش احدى قرى الزاوية ثم الى طرابلس حيث تعلم هو وولدهُ ابرهيم اللغة التركية. وبعد ان توظَّف عند الامير حسين حرفوش الشيعي حاكم بعلبك ثم عند الشيخ اسمعيل حماده الذي وهبهُ خمس قرى في مقاطعة الفتوح عاد الى العاقورة وخرج منهـا نهائيًا سنة ١٧٠٤ واتى لحفد في بلاد جبيل ثم انتقل منها الى الكفور في الفتوح وجاء في آخر الامر الى عرامون كسروان فاستوطنها. ويظهر ان والدهُ الخوري جرجس توفي في اثناء هذه الرحلات لانَّ التاريخ لا يذكر مجيئهُ الى عرامون

وعرامون هذه قرية من مقاطعة كسروان على حدود المعاملة الجنوبيَّة قد اختارها الشيخ يوسف ليكون في بلاد كثر فيها النصارى وساد فيها الحزب القيسي فيأمن جور الحكّام اليمنيين السائدين بشخص مشايخ حماده وامراء الحرفوش في المعاملة الشماليَّة. فضلًا عن ان هذه القرية نظرًا الى وقوعها على حدود مقاطعة الفتوح وقربها من معاملة طرابلس تمكّنهُ من السهر على القرى التي يملكها في الفتوح ومداومـة كتابة الاسرار واستلام زمام الاحكام عنـد مشايخ حماده المذكورين. ولم يمضِ عليه سنة في عرامون حتى ولَّاهُ الشيخ اسمعيل حماده شؤون مقاطعة الفتوح بأسرها وجباية الاموال الاميريَّة فيها وقد اعفاهُ من جميع الاموال هو واولادهُ وخدمهُ وشركاءهُ

ويوسف هو الذي اشار اليه البطريرك سمعان عواد في ترجمة حياة البطريرك اسطفان الدويهي اذ يسميه بيوسف العاقوري الماروني ويذكر عنهُ انهُ كان يجبي الاموال الاميريَّة في الفتوح من قبل الشيخ اسمعيل حماده. وقد ورد ذلك في المقدمة التي في صدر « تاريخ الطائفة المارونيَّة » للدويهي فهذا الشيخ العاقوري الماروني هو احد اجداد بني الدحداح

وتوفي يوسف سنة ١٧٦٢ ودفن في حجرة خاصة في دار كنيسة عرامون. وكان قد رزق كما رأيت انفًا خمسة اولاد ذكور هم ابرهيم (١ وسليمان (٢ وموسى (٣ ومنصور (٤ ووهبه (٥. ولمَّا كان لبني الدحداح شأن في لبنان وقد امتزجت اخبارهم باخبار حكامه وامرائهِ وجب علينا من باب الايضاح ان نورد لمحة عن احوال لبنان في تلك الأيام كي نتمكَّن من استيفاء الكلام عن اولاد يوسف المشار اليهم وسلالتهم من بعدهم

كان الامراء المعنيون المسلمون المشهورون بالعدالة قد حكموا في الشوف والعراقيب والجرد مدة طويلة وظهر منهم ولاة يعرفهم الكرم « نسيف كالامير فخر الدين مثلًا (٦

---

١) درس اللغة التركية مع ابيهِ واتقنها واشتهر بذكائهِ. وقد توفي قبل ابيهِ تاركًا ثلاثة اولاد ذكور وابنة. وانقرضت ذريتهُ بموت المرحوم فيَّاض آخر ذكر من نسلهِ. توفَّاهُ الله في طرابلس سنة ١٨٨٣

٢) بعد ان ساعد اباه مدة حياتهِ في اشغال الفتوح وامور بيت حمـاده توفي طاعنًا في السن سنة ١٧٦٦. وهو الذي حضر الجمع اللبناني الماروني المنعقد في دير اللويزة سنة ١٧٣٦. وقد ورد سهوًا اسم سلُّوم الدحداح عوض سليمان في الطبعة العربيَّة الجديدة للمجمع المذكور المترجمة بقلم سيادة المطران يوسف نجم والمطبوعة سنة ١٩٠٠

٣) كان في عهد ابيهِ ترك المشايخ الحماديين وتقرَّب الى الامراء الشهابيين فدخل في مِنَّة الامير منصور الشهابي حاكم معاملة صيداء. وقد انتفع اولادهُ من ذلك ونالوا الغنى والشهرة ولاسيما ابنهُ سلُّوم وحفيدهُ منصور بن سلوم كما سيأتي الكلام عنهم. توفي موسى سنة ١٧٧٨

٤) هو اعظم اخوتهِ قدرًا وابعدهم شهرة واقدرهم سياسة وحكمة. وهو مع سلوم ابن اخيهِ موسى المذكور آنفًا ومنصور بن سلوم فخر العائلة ورافعو لواء مجدها. كما سترى

٥) سيأتي الكلام عنهُ وقد توفي في مدة الخمس السنوات الاولى بعد الثمانمائة والالف

٦) وقد غلط كتبة الافرنج في نسبتهِ الى المذهب الدرزي. وربَّما كان سبب الغلط ما ورد في تآليف ابنـاء العرب وفرمانات الدولة العلية من نسبة فخر الدين بامير الدروز او امير جبل الدروز

وقد انقرضت سلالتهم بوفاة الامير احمد حاكم معاملة صيداء في ١٥ ايلول سنة ١٦٩٧ (١ فانتخب كبراء لبنان (والاحرى كبراء معاملة صيداء) وريثاً لهُ ابن اختهِ الامير بشير الشهابي من راشيا . لكن الحكومة السنية لم تصادق على هـذا الانتخاب بل عيَّنت الاميرَ حيدر شهاب (٢ من حاصبيا لانهُ ابن بنت الامير المتوفى واحقّ بالارث . ولمَّا كان هذا قاصراً أقيم وصياً عليهِ او كفيلاً لهُ الامير بشير المذكور حتى سنة ١٧٠٦ التي مات فيها الوصيّ واستقل بالحكم الامير حيدر فنامت عليهِ الاحزاب اليمنيَّة من امراء آل علم الدين وارسلان ومقدَّمي بني الصواف المتنين وتحمود المرموش فطردوهُ واستبدوا بالامر في لبنان الى سنة ١٧١١ حيث بزَّ الامير حيدر من مخبَإِهِ ودعا اليهِ قومهُ وسار فيهم الى دير القمر عن طريق الجرود ليسلم اعداءهُ من الالتقاء والانضمام فيطيش بهم في خراج عين دارا من العرقوب وفتك فيهم فتكاً ذريعاً وافنى آل علم الدين وانى دير القمر مركز حكومة المعاملة واباد الحزب اليمني فلم تقم لهُ قائمة ولم يعد يُذكر لهُ اسم في لبنـان . ثم استقال من الحكم سنة ١٧٢٩ فورثهُ بكر اولاده الامير ملحم . وفي عهد هذا انقسم لبنان الى حزبين " يزبكي " برئاسة مشايخ آل عماد و " جنبلاطي " برئاسة بني جنبلاط . وفي سنة ١٧٥٤ اعتزل الامير ملحم فخلفهُ اخواهُ الاميران احمد ومنصور الى سنة ١٧٦٠ حيث انفرد بالسلطة الامير منصور

وقد سعى الشيخ سعد الخوري مربّي الامير يوسف واخوتهِ (٣ بايجاد وسيلة ليترع معاملة صيداء من يد الامير منصور ويجعلها في قبضة ربيبهِ الامير يوسف . ثم عدل عن مقصدهِ وعمل باشارة من (٤ قال لهُ ان يتخـذ الامير منصور عضداً لهُ في استحصال معاملة طرابلس للامير يوسف . وهكذا قد تمّ فان الامير منصور سُرَّ من هذا الرأي

(١ اي الثاني عشرة سنة بعد وفاة الشيخ ابي نوفل الخازن . فان الدويهي يقول (في الصفحة ٣٤٦ من تاريخ الطائفة المارونية) انَّ وفاة هذا الشيخ كانت في ١٣ آب سنة ١٦٧٩ . فهذا النص وما ورد في التحريرات المسماة بالرسائل البانية (Lettres édifiantes) ببنان بهدم بناء ابي نوفل في قيد الحياة الى ما بعد انقراض المشيخين كما ورد في الصفحة ٢٥٩ من التأليف نفسهِ والمأخوذ من جهل الشارح اسم مؤلفهِ

(٢ هو جدُّ جميع الشهابيين اللبنانيين

(٣ جميعهم اولاد الامير ملحم المتقدم

(٤ الشيخ منصور الدحداح وذلك انتقاماً من الحماديين كما سيأتي

الآل الى ابعاد ابن اخيه (١ عنهُ واقتناعه بمعاملة طرابلس عن معاملة صيداء. وسعى فحصَّل لهُ الفرمان من ايالة الشام وطرابلس. وفي سنة ١٧٧٠ تخلَّى لهُ عن معاملة صيداء ايضًا فاصبح لبنان كلهُ في يد الامير يوسف. وفي سنة ١٧٨٩ عُزل هذا الامير فاخذت الحكومة تتراوح بين ايدي الامير بشير قاسم عمر المعروف بالكبير او المالطي وبين اولاد الامير يوسف المعزول (٢ وبين الاميرين حيدر وقعدان. الى ان ثبتت اخيرًا في يد الامير بشير المذكور الذي لا تخفى اخباره ووقائع عهده

وبعد عزله خلفهُ ابن عمّهِ الامير بشير ملحم ثم عمر باشا. واخيرًا في سنة ١٨٤٣ انقسم لبنان الى قائمقاميَّتين: احداهما للنصارى من طريق الشام الى طرابلس. والثانية للدروز من الشام الى صيداء ما عدا دير القمر التي بقيت تابعةً لمدينة بيروت رأسًا. وكان اول قائمقام على النصارى الامير حيدر ابو اللمع وعلى الدروز الامير احمد ارسلان. وجميع هذه الامور حديثة مشهورة لا نتعرَّض لذكر تفاصيلها

فنعود الان الى سياق الكلام عن الدحادحة ونقول ان الشيخ منصور رابع اولاد الشيخ يوسف العاقوري السابق ذكرهُ كان في حياة ابيهِ يدَهُ اليمنى وبعد وفاته تولى امور بيت حماده. ولكن لمَّا رأى منهم النـدر بعد موت الشيخ اسماعيل حماده وتعذَّر عليهِ اصلاحهم تركهم وسافر الى قبرس. وفي اثنـاء غيابهِ بيعت املاكه في الفتوح وفاء لكفالتهِ بني حماده تجـاه والي طرابلس. ولمَّا عاد من قبرس تداخل مع الشيخ سعد الخوري مربي اولاد الامير ملحم واقنعهُ بالعدول عن مزاحمة الامير منصور الى الاستعانة بهِ على تحصيل معاملة طرابلس للامير يوسف. كما سرَّ آنفًا. ولمَّا نجح مسعاهما اعطى هذا الامير لمربيه وكافيتهِ الشيخ سعد املاكًا واسعة في جبَّة بشرَّاي. اما منصور فقد اعطاهُ قسمًا كبيرًا من بلاد جبيل عهدة خصوصيَّة لهُ ولذريتهِ من بعده من غير شراكة احد فيها من عائلتهِ. ووهبه املاكًا شاسعة في بلاد جبيل والبترون والفتوح. منها دير البنات واراضي في سهل جبيل ودكاكين بوبّابة جبيل ومستيتا واملاك في البوار

فدير البنات واراضي السهل اعطاها منصور وقفًا للرهبانيَّة البلديَّة الماورنية مشترطًا على رؤسائها قبول افراد ذريتهِ في الرهبانيَّة بدون مانع وحافظًا لنفسهِ ولأي كان من نسلهِ حقّ الرجوع بهذه الوقفيَّة واسترجاعها من الرهبانيَّة.

(١ الامير يوسف المذكور (٢ وهم حسين وسعد الدين وسليم

واما دكاكين البوّابة فقد وقفها على كنيسة سيدة جبيل . وسلّم املاك مستيتا(١ وقفًا الى دير سيدة الحقلة . وقد استمرّت العلائق الحسنة بين سلالة الشيخ منصور هذا والمتولّين على اوقاف سيدة الحقلة حتى وضع يدهُ على هذه الاوقاف المثلّث الرحمة البطريرك يوحنا الحاج اذ كان اسقفًا على بعلبك(٢ . وكانت عوائد واصطلاحات خاصّة محفوظة لسلالة الشيخ منصور في معاملتهم مع اصحاب الدير المذكور

اما املاك البوار فقد وقفها على دير مار دوميط المشهور كما يثبت ذلك من حجج واوراق هذا الدير ومن العوائد الخاصّة المحفوظة في معاملة رئيسهِ لاولاد الشيخ منصور وسلالتهم (٣

ولمّا تمكّن الامير يوسف من حمل عنهِ على الاعتزال سنة ١٧٧٠ واستقلّ وحدهُ بالمعاملة جعل بني الدحداح في مقدّمة رعاياهُ فاعطاهم مقاطعة الفتوح عهدة خصوصيّة لهم مكافأة على حسن خدمتهم . وسلم اعمال مقاطعة الحماديين في المنيطرة الى وهبة اخي منصور . واحضر سلومًا وناصيفًا ولدي موسى فاقام الاول كاتبًا في ديوانهِ مقرّبًا اليهِ والثاني رئيسًا على المحاسبات وجباية الاموال الاميريّة (٤

وتوفي منصور مؤسس مجد هذه العائلة سنة ١٧٨٠ تاركًا ولدًا وحيدًا اسمهُ حنّا(٥

---

١) اعلم انّ دير مستيتا اعطاهُ الامير يوسف الشهابي بواسطة الشيخين المرحومين منصور الدحداح وسمان البطار لعائلة بيت ديب من دلتا ليكون تحت تصرّفها وولايتها

٢) وقد عادت اليوم بامر الكرسي الرسولي لاصحابها ٣) لم اذكر كلّ الاوقاف التي وقفها جميع افراد العائلة الدحداحيّة . ومن هذه الاوقاف ما هو بايدي العائلة كدير سيدة شويت ودير مار انطونيوس عين سجاع في الفتوح الذي يديرهُ الان الخوري الفاضل طوبيا الدحداح

٤) وقد اخطأ الخوري منصور الحدتوني (واخطأ معهُ صاحب « بطل لبنان ») بقولهِ في مقدمة تاريخهِ ان مهدة الفتوح اعطاها الامير بشير الشهابي لسلوم الدحداح سنة ١٨١٦ . على حين انهُ يذكر في كلامهِ عن حكومة الامير يوسف انهُ اقطع الدحادحة مقاطعة الفتوح سنة ١٧٧٠ . فالمناقضة بين القولين ظاهرة . كما انهُ اخطأ في نفس المقدمة بذكره دير ومدرسة مار مبدا هرهريا في عداد اديرة كسروان . فلو نظر فيما اذا كان الدير واقعًا شمالي الوادي المؤدي الى المعاملتين ام جنوبيه لما فاته انهُ في الفتوح لا في كسروان . ولا شكّ انهُ اختلط عليهِ الامر مما كان يحدث من ادعاء البعض بان الدير المذكور تابع لكسروان ومعاملتهم ترع سلطة بني الدحداح عن مزرعة الدير واراضيه وكيف تمكّن بنو الدحداح من اثبات حقوقهم والمحافظة على حدود مقاطعتهم رغمًا عن معاكسة الايّام لهم واتفاق السلطتين الدينيّة والمدنية في لبنان ضدّهم

٥) حنا ولد سنة ١٧٦٢ وتوفي سنة ١٨٠٧ وقد ادار اعمال مقاطعتهِ دون المداخلة في شؤون

خلفهُ في مقاطعتهِ. وقد اشتهر من بعده اولاد اخيهِ الاربعة ناصيف وسلوم ويوسف وابرهيم. وبعد عزل الامير يوسف سنة ١٧٨٩ مضى على بني الدحداح عشر سنوات تقلبت فيها عليهم الاحوال بتقلُّب الاحكام بين الامراء حتى ثبتت في يد الامير بشير الماطي (كما سبق القول). وكان كلٌّ من هؤلاء الحكّام يعين سلوماً واخوتهُ في ديوان الاحكام

ولمَّا استقلَّ بالحكم الامير بشير المذكور عيَّن سلوماً كتخدا اي مدبّراً لاعماله وناصيفاً على الاموال الاميريَّة في كسروان والفتوح وجبيل وسائر الجهة الشماليَّة. ولمَّا كان قد عيَّن اخاهُ الامير حسن حاكماً في غزير ومراقباً على اصحاب المقاطعات في كسروان وشمالي لبنان جعل عنده ابرهيم اخا سلوم كتخدا وقاضياً. واتخذ اخاه يوسف سفيراً لهُ في مخابراتهِ مع الولاة ولاسيما والي عكَّا احمد باشا الجزار

وقد توفي سلُّوم في عرامون سنة ١٨٢٠ عن ثلاثة اولاد منصور وغالب وبشير. فكان لهُ مأتم عظيم اعتزَّ لهُ لبنان واحتشد فيهِ الامراء والمشايخ واماثل الجبل من جملتهم الامير امين الذي حضر من قِبل ابيهِ الامير بشير. والشيخ بشير جنبلاط الذي جاء من المختارة بنفسهِ

وكان لمَّا شاخ سلوم تعيين ولده منصور معاونًا لهُ. فما زال هذا يتعاطى تدبير الاشغال حتى سنة ١٨٢٨ حيث سلَّم الامير بشير شؤون حكومته الى ولدهِ الامير الامين. وكان هذا اتخذ منادماً لهُ الشاعر المشهور المعلم بطرس كرامة. فاعتزل الشيخ منصور الاعمال وعاد الى عرامون. وقد قضى هو وابوهُ في تدبير الاحكام مدة ٥٨ سنة اشتهرا فيها بالسياسة والخبرة والحزم والنشاط والصدق نحو اولياء الامور. وقد ترك كلٌّ منهما اسماً مجيداً يردّدهُ اللبنانيون الى يومنا هذا مثنين بحسن تدبيرهما وسموّ مداركهما وسهرهما على رعاية الاحكام وصدقهما في الخدمة. وهما هما اللذان زانا حكومة الامير بشير.

لبنان السفلية. وقد اوفدهُ الامير بشير قاسم عمر الكبير حاكم لبنان الى الاناضول سنة ١٧٩٩ رئيساً على الوفد المرسل ليقدم الهدايا والتقادم الى الصدر الاعظم. يوسف ضيا باشا فالتقاهُ في مدينة قره مرط فاكرمهُ الوزير وخلع عليهِ. ولمَّا هذا اربعة اولاد منصور (+١٧٦٢) ولويس (١٧٨٨–١٨٣٢) وجهجاه وحرب. وكان جهجاه (١٧٩٠–١٨٦٠) من مشاهير الرجال قاوم الامير بشير واتَّفق مع الدولة العثمانية لطرد الجيش المصري من الشام وبدَّد شمل الامير حميد حفيد الامير بشير في جبَّة بشرّاي واسرهُ فاثنت الدولة على خلوص عبوديته وجهجاه والد جناب رفتلر الشيخ خطار الدحداح وجدّ المرحوم الشيخ يوسف وسيأتي ذكره

وفي أيامهما كان عهدهُ عهد العدل والامان. وقد ترك سلوم رسالة خصوصيَّة بخط يدهِ يروي فيها سياحة الامير بشير الاولى الى مصر سنة ١٧٩٩ اذ جاء اليها الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا

اما منصور فانهُ بعد اعتزالهِ الاشغال سكن الدار العظيمة التي كان قد شيَّدها في عرامون لزاء بيت ابيهِ ولم يتداخل بعد ذلك بشؤون السياسة سوى اربع مرَّات : (الاولى) لمَّا استدعاهُ الامير بشير الكبير سنة ١٨١٠ ليستشيرهُ في امر التسليم وترك العساكر المصريَّة. فاشار عليهِ بالطاعة فلم يذعن لاشارته بل عمل برأي بطرس كرامة فكان من امرهِ ما كان. (الثانية) لمَّا دعاهُ الامير بشير قاسم ملحم المعيَّن بدلًا من الامير بشير الكبير فابَى طلبهُ ونهض برجالهِ ولحق بجيش الامير لمطاردة العسكر المصري حتى وصل الى البقاع. ومنها عاد الى بيت الدين ثم قفل راجعًا الى عرامون. (الثالثة) لمَّا تعيَّن عمر باشا بدلًا من الامير بشير الثالث فاتخذ مدبّرين احدهما مسيحي وهو الشيخ منصور الدحداح المذكور والثاني الشيخ خطار العماد الدرزي. وقد بقي الشيخ منصور في الخدمة مدة اقامة عمر باشا في لبنان. (الرابعة) لمَّا تعيَّن الامير حيدر ابو اللمع سنة ١٨٤٢ قائمقامًا على النصارى كما سبق القول فاتخذ الشيخ منصور بضعة اشهر مدبّرًا ثم تركهُ وخاصمهُ واضطهدهُ زمنًا طويلًا

ومات الشيخ منصور في دارهِ بعرامون سنة ١٨٦١ في عمر اثنين وثمانين عامًا. وكان قد اقتنى املاكًا عظيمة وحصَّل اموالًا طائلة (١)

فهؤلاء الثلاثة منصور الاول وسلوم وابنهُ منصور هم عظماء العائلة ورافعو لواء مجدها. وقد جرى على آثارهم كثيرون من اسرتهم فخدموا امراء البلاد وتولَّوا الاشغال فاشتهروا في كل عهد لاسيَّما في عهد الامير بشير الكبير حيث كنت ترى تقريبًا جميع مشايخ بني الدحداح في الوظائف. ففي بيت الدين كان امين بن يوسف وموسى بن ابرهيم ورُشيد بن غالب كتَّابًا للامير بشير. وفي غزير كان خليل بن غالب كاتبًا للامير عبد الله.

---

(١) وهذا يخالف ما قالهُ صاحب تاريخ مقاطعة كسروان ويكفي لنقض دعواهُ ان نقول ان قسمًا من ثُلث تركته (بستان الصا في بلاد البترون) هو الان ثروة عظيمة في ايدي اولاد انجيالهِ

وفي المقاطعات كان لويس وجهجاه ابنا حنا حاكمين على بلاد جبيل . وزعيتر (١ وكيلًا على مشايخ الجبَّة ومرعي (٢ وكيلًا على مشايخ الكورة

ولمَّا انقسم لبنان الى قائمقاميَّتين كما سبق القول كان الشيخ امين رئيس الكتبة عند الامير حيدر اوَّل قائمقام على النصارى وابنهُ الشيخ يوسف معاونًا لهُ . وكانا كلاهما شاعرَين بارعين . وقد اشتهر احدهما يوسف بخطِّهِ واتقانهِ التصوير . وهو الذي صنع للامير حيدر تاريخًا لبناء سراياه في بكفيا لم يزل منقوشًا الى يومنا فوق مدخلها . اما الشيخ امين فلهُ تآليف نفيسة منها رسالة كلها مراثٍ وحِكَم وضعها بعد فقدهِ ولدهُ يوسف المذكور سنة ١٨٥٠ في عنفوان الشباب . ويشهد على مكانتهِ من الشعر والعربيَّة ما تبادلهُ من القصائد المشهورة مع شعراء عصرهِ . ونحن نكتفي عن الكل بالاشارة الى ما ورد في ديوان استاذهِ الشاعر بطرس كرامة وديوان المرحوم المطران جرمانوس الشمالي وتوفي الشيخ امين سنة ١٨٧٣ ولهُ من العمر ٨٣

اما الشيخ موسى فكان قد سافر مع الامير بشير الكبير الى منفاه بمالطة ثم الى الاستانة العليَّة . وعاد منها الى لبنان سنة ١٨٤٥ . وبعد وفاة الامير حيدر تعيَّن عند خلفهِ الامير بشير احمد اللمعي مدبِّرًا او كتخداه فاقام برئاسة الاحكام الى سنة ١٨٦٠ حيث كان عزل الامير وتشكيل المتصرفيَّة . وكان مشهورًا في أيَّامهِ باسم « لسان النصارى » ممتازًا بحزمهِ ورصانتهِ وحكمتهِ وفصاحتهِ وطلاقة لسانهِ واقتدارهِ على اقناع سامعيه

وقد مات في بعلبك سنة ١٨٧٥ فشيَّد لهُ مدفنًا لائقًا حفيدهُ الشيخ حصن الذي كان قد انتظم في الرهبانيَّة البلديَّة باسم يوسف وعيَّن وكيلًا اسقفيًّا في بعلبك

وممن اشتهروا في هذه الآونة ايضًا فرنسيس واخوه لطوف وطنوس الذي خلف اباهُ تاصيفًا على الاموال الاميريَّة

ومنذ سنة ١٨٥٠ اخذ مشايخ الدحداح يهجرون عرامون . فاستوطن فريق كبير منهم

---

١) زعيتر بن راشد بن موسى توفي سنة ١٧٦٣ وهو والد المرحومين راشد وقبلان الذين اشتهرا في خدمة لبنان والدين وتوفيا من بضع سنوات وجدّ الشيخ يوسف راشد احد مدراء لبنان حاليًا

٢) مرعي ولد سنة ١٧٨٣

ناحية الفتوح مقاطعتهم . وفريق ذهب الى بلاط في بلاد جبيل حيث كان قد سبق اولاد وهبه فاستوطنوا هناك منذ الاول . والبعض منهم تفرّقوا في البلاد

واكثر دور مشايخ الدحداح اصبحت اليوم اديرة : فدار الشيخ منصور سلّوم صارت دير مار نقولا المعروف بمدرسة العريضة . ودار الشيخ موسى اشتراها منهُ قعدان بك الخازن ثم صارت مع دار الشيخ امين ملكاً لابرشية بعلبك وكرسيًّا للاسقفيّة . ودار الشيخ طنوس اصبحت مدرسة الحكمة

هذا ما ارتأينا ادراجهُ من اخبار عائلة بني الدحداح حتى سنة ١٨٦٠ كتوطئة لترجمة الكونت رشيد الدحداح (ستأتي البقيّة)

مقطعات شعريّة للشيخ احمد البربير

اختارها الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف

هو الشيخ العلّامة الاديب احمد افندي البربير اصل عائلتهِ من بيروت وكان مولدهُ في دمياط سنة ١١٦٠ هـ (١٧٤٧م) ثم حضر الى ثغر الشام وتولى القضاء في بيروت في عهد الامير يوسف الشهابي ثمَّ استعفى واستوطن دمشق وبها كانت وفاتهُ سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١م) . ودُفن في الصالحية. ولهُ تآليف حسنة منها كتاب الشرح الجليّ على بيتي الموصلي طبعهُ في بيروت الشيخ محمد افندي عمر البربير سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤م) . ولهُ شعر جيّد ذكرنا منهُ شيئاً في ترجمة ميخائيل البحري (المشرق ٣ : ١٢-١٨) . امّا المقطّعات التالية فقد اختارها جناب الفاضل عيسى افندي اسكندر معلوف من نحو ٥٠٠ مقطّعة للشيخ المذكور استنسخها من هامش كتاب اسرار البلاغة المخطوط وجدهُ في مكتبة السيد غريغوريوس حداد مطران طرابلس للروم الارثوذكس وهي مكتوبة بخطّ المؤلف رحمهُ الله (المشرق)

١ ويومٍ تبسّم نوّاره ودمع السحاب عليهِ انسكبْ
رأت سُحبهُ كاسهُ مترعاً فصارت تنقّطها بالحَبَبْ

٢ نحن والله في نعيمٍ مقيمٍ بين سجعٍ وبين صوتٍ رخيمٍ
لم نجد عندنا اليك رسولاً غير ماءٍ من لطيف النسيمٍ
قد قضى غمّنا فتاح عليهِ كلُّ صوتٍ من الحمام نظيمٍ
ولهذا لم ندرِ ما نحن فيهِ من سرورٍ وعزّةٍ وتنعيمٍ